الأربعون النووية

شرح فضيلة الشيخ

أحمد بن عمر بازمول
حفظه الله

الأستاذ المشارك بجامعة أم القرى

- ١٤٣٧\١٤٣٦ هـ -

ضمن دروس معهد الميراث النبوي
-تفريغ فريق صيانه السلفي-

الدرس الخامس من الأربعين النووية

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمْ

الْحَمْدُ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلا مُضِلَّ لَهُ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلا هَادِيَ لَهُ وَأَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ

أَلَا وإِنَّ أَصْدَقَ الْكَلَامُ كَلَامُ الله وَخَيْرِ الْهُدَى هُدَى مُحَمَّدْ ، وَشَرِّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُها وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَة وَكُلَّ بِدْعَة ضَلَالَة وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ

أَمَّا بَعْدُ:

فقد توقفنا في شرح الأربعين النووية عند الحديث الثاني عند قول عمر–رضي الله عنه –في قول جبريل–عليه السلام –حين سأل النبي – النبي – صلى الله عليه وسلم – بعد أن سأله عن الإسلام والإيمان ثم قال له: (فأخبرني عن الإحسان ، فقال : أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك)

جبريل –عليه السلام–سأل النبي–صلى الله عليه وسلم –عن الإحسان.

والإحسان: هي المرتبة الثالثة من مراتب هذا الدين، وهي أعلاها، وأهل هذه المرتبة –كما ذكر أهل العلم–أقل من أهل الإيمان، وأهل الإيمان أقل من أهل الإسلام.

فهذه المراتب الثلاث:

– المرتبة الأولى وهي الإسلام أهلها كثيرون.

– وأما الإيمان فهي مرتبة أعلى تحصل بالعمل الصالح إذا أتى العبد بالواجبات وترك المحرمات وأتى بالنوافل.

- ثم بعد ذلك الإحسان وهي مرتبة عظيمة جدا وأهلها قليلون، أخبر فيها النبي–صلى الله عليه وسلم–أن من أراد أن يحصل وأن يكون من أهل هذه المرتبة فعليه أن يعبد الله كأنه يراه، يعني: يراقب الله –عز وجل –.
كما قال ذاك الشاعر:

إذا ما خلوت الدهر يوما فلا :: تقل خلوت ولكن قل علي رقيب

فالله –عز وجل – يرانا، ويعلم بحالنا، ومطلع – سبحانه وتعالى – على ما تخفي أنفسنا ، وعلى كل صغير وكبير، فهو– سبحانه وتعالى– يسمع دبيب النملة السوداء على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء ، يسمع سبحانه وتعالى دبيب هذه النملة يعني : صوت مشيها سبحانه وتعالى .

وعائشة رضي الله عنها قالت: لما نزل قوله تعالى: ﴿ قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا ﴾[1] فقالت: (سبحان الذي وسع سمعه كل شيء)

عائشة رضي الله عنها كانت حجرتها قريبة من هذه المرأة التي جاءت تشتكي للنبي –صلى الله عليه وسلم–وتسمع شيئا ويفوتها أشياء.

والله –عز وجل –من فوق سبع سماوات –سبحانه وتعالى – يقول ﴿ قَدْ سَمِعَ اللَّهُ ﴾ أي أنه –سبحانه وتعالى–سمع كل ما قالته هذه المرأة ولم يخف عليه شيء من كلامها.

[1]) سورة المجادلة (1)

فإذًا هذه المرتبة بأن يصل إليها العبد بأن الله–عز وجل –ويعبده عبادة من وصفه بقوله: (تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك) يعني: وإن لم يكن الواحد منا يرى الله –سبحانه وتعالى –في الدنيا من فوق سبع سماوات ولا يخفى عليه شيء من حاله وهذه المرتبة–كما سبق – أهلها قليلون ؛ ولذلك هذه المرتبة الإحسان هي مرتبة عالية –كما ذكر أهل العلم – مرتبة عظيمة ، يقول الله – عز وجل – : ﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾[2]

فهذه المرتبة لهم من معية الله الخاصة –سبحانه وتعالى–: حفظه، ونصره، وما يحصل له من خير وأجر من الله –عز وجل –، فإن الله –عز وجل–كما قال: ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ﴿٤﴾﴾[3] أي: بعلمه كما قاله ابن عباس وغيره من السلف.

ولكن هناك معية خاصة لأهل الإيمان وأهل الإحسان قال: (أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك) ومن عجيب فتوى بعض أهل العلم في هذا لما جاءه أحد العصاة وقال له : " أريد أن أعصي الله ، قال: " نعم لا مانع من ذلك ، ولكن اعصه حيث لا يراك " يعني : اذهب إلى مكان،–أي مكان تختاره – اذهب إلى هذا المكان واعص الله–عز وجل–بشرط : أن لا يراك الله–عز وجل–فقال: و أين لا يراني وهو يراني في كل مكان يراني–سبحانه وتعالى–من فوق سبع سماوات، فقال: "يا عدو نفسه أتعلم أن الله يراك وينظر إليك وتعصيه؟ ! "

ولذلك يذكر العلماء للتائبين ابتلي بالذنوب أن يستحضر أن الله يراه ومطلع عليه ويعلم حاله–سبحانه وتعالى–.

---

[2]) سورة النحل (١٢٨)

[3]) سورة الحديد (4)

ثم قال جبريل –عليه السلام– للنبي –صلى الله عليه وسلم–: (فأخبرني عن الساعة؟، فقال النبي –صلى الله عليه وسلم –: ما المسؤول عنها بأعلم من السائل)

جبريل سأل النبي –صلى الله عليه وسلم– عن وقت القيامة متى هو؟ في أي زمان يكون؟ فأخبره النبي –صلى الله عليه وسلم– أن علمي وعلمك سواء ؛ أي أننا لا نعلم متى الساعة. كما قال الله –عز وجل–: ﴿ يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ اللَّهِ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا﴾[4] ، وكما قال –عز وجل–: ﴿يسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[5]

فبين النبي –صلى الله عليه وسلم– أنه هو وهو رسول الله –صلى الله عليه وسلم– وأنت أيها السائل وهو يعني جبريل –عليه الصلاة والسلام– لا يعلمان متى تكون الساعة –

– لمـــــــــاذا ؟

- لأن الله استأثر بعلم الساعة، لا يعلمها إلا هو سبحانه وتعالى.

مما أراد الله عز وجل ؛ أن يكون وقت الساعة في زمن محدود لا يعلمه الناس.

لذلك –بارك الله فيكم– في هذا دليل على مسألة مهمة وخطيرة قد يضطرب فيها بعض الناس وقد يشك فيها بعض الناس وهو: أننا قد نسمع من بعض الجهال ومن بعض المتعالمين ومن بعض من يتكلم في دين الله بجهل أن هذا الزمان وأن الدنيا ستنتهي في العام الفلاني ؛ عام كذا وكذا ولا شك أن هذا خطأ ، يجب علينا جميعا

---

[4]) سورة الأحزاب (63)
[5]) سورة الأعراف (187)

أن نعلم أن هذا كذب من القول وباطل من القول .

- لمـــــــــاذا ؟

- لأن الله–عز وجل–أخبرنا: أنه هو–سبحانه وتعالى– الذي يعلم متى تكون الساعة، والنبي–صلى الله عليه وسلم– أخبرنا كما في هذا الحديث–أنه لا يعلم متى الساعة، وجبريل –عليه السلام–لما أخبره النبي–صلى الله عليه وسلم–وقال له: (ما المسؤول عنها بأعلم من السائل)لم يقل: لا ، أنا أعلمها! وإنما أقره بمعنى: أني أنا وأنت لا نعلم متى الساعة.

- **فكيف يأتينا قائل ويزعم أن الزمان سينتهي في العام الفلاني ؟!**

فلاشك أيها الإخوة والأخوات–بارك الله فيكم–علينا أن نتنبه لمثل هذه الأقوال الباطلة التي نبه العلماء على بطلانها فهذا حديث مشهور ومعلوم عند كثير من المسلمين (أخبرني عن الساعة، ما المسؤول عنها بأعلم من السائل).

لذلك من أتى وقال: 'القيامة ستكون والدنيا ستنتهي في الزمان الفلاني'، نقول له: 'لا يعلم وقت انتهاء الدنيا وقيام الساعة إلا الله –عز وجل–'.

ثم قال :(فأخبرني عن أماراتها): قال جبريل للنبي–صلى الله عليه وسلم–أخبرني عن علامات الساعة.

وعلامات الساعة قد أخبر الله–عز وجل–أن للساعة علامات كما قال–عز وجل–:

(فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا فَأَنَّىٰ لَهُمْ إِذَا جَاءَتْهُمْ

ذِكْرَاهُمْ ﴿١٨﴾[6]) ، ومعنى أشراطها أي أماراتها وعلاماتها وأشراط الساعة ؛ هناك أشراط الساعة الكبرى وأشراط الساعة الصغرى.

وأشراط الساعة الكبرى هي التي تقع قبل قيام الساعة من نزول عيسى–عليه السلام–وخروج الدابة، وظهور الدجال، وغير ذلك من العلامات، كطلوع الشمس من مغربها.

لكن هنا في هذا الحديث ذكر النبي–صلى الله عليه وسلم–علامتين:

قال لما سأله عن أماراتها قال: (أن تلد الأمة ربتها) يعني إشارة إلى أنه في آخر الزمان يكثر الجواري والإماء ؛ فالرجل إذا وطيء وجامع أمته فحملت وأنجبت ولدا ذكرا أو بنتا فإن هذا الولد الذكر أو الأنثى البنت ؛ فإنه يكون حرا لأنه يتبع أباه في الحرية .

ولكن هذه المرأة التي هي الأمة ؛ أم هذا الابن أو أم هذه البنت لا تزال أمة مملوكة لهذا الرجل وتسمى عند العلماء بأم الولد ، إذا مات تصبح حرة إذا مات سيدها تصبح حرة، فيكون من علامات الساعة كثرة الجواري والإماء ؛ هذا معنى.

وهناك معنى آخر ذكره بعض العلماء وهو إشارة إلى أن في آخر الزمان من العقوق الذي يحصل من الأبناء والبنات لأمهاتهم. أنهم يعاملون أمهاتهم الأحرار معاملة الإماء فالأم تخدم وتعمل والبنت أو الابن يصرخ عليها ولا يحترمها ولا يقدرها ولا يحزن عليها ولا يهتم بحالها ولا يشفق عليها وكأنها غريبة عنه وكأنها لم تحمل به وكأنها لم ترضعه كأنها لم تلده وكأنها وكأنها... ؛ فهذا إشارة إلى العقوق وإشارة إلى

[6]) سورة محمد (18)

قسوة قلب الأبناء والبنات على الأمهات. (أن تلد الأمة ربتها) فهذا معنى وذاك معنى.

وإن كان أكثر العلماء على المعنى الأول فهو إشارة إلى كثرة الجواري والإماء في آخر الزمان.

ثم قال: (وأن ترى الحفاة) يعني الذين يمشون على أقدامهم بلا أحذية وبلا شيء يلبسونه على أقدامهم.

(العراة): الذين يسترون عورتهم ويكون كثير من جسمهم مكشوفا.

(العالة): يعني الفقراء.

(رعاء الشاة): أي الذين يقومون على رعاية الغنم والبقر والإبل.

(يتطاولون في البنيان): قال العلماء يعني: تتغير أحوالهم وتتبدل فيصبحوا أغنياء ويمتلكون البيوت والبنيان وينتقلون من البادية والبدو إلى المدن فهذا من علامات الساعة.

قال العلماء: قد وقعت هاتان العلامتان.

وقال بعضهم: الأولى قد تكون في آخر الزمان والثانية قد وقعت فإننا نرى أن الفقراء وأهل البادية قد استوطنوا المدن وأصبحوا يمتلكون البيوت العالية.

ثم قال: (ثم انطلق).

قبل أن ندخل في هذا (ثم انطلق) أقول:

– ما فائدة معرفة علامات الساعة ؟

– فائدة معرفة علامات الساعة :

1– أن العبد يجتهد في طاعة الله وأن يحذر أن تأتي عليه منيته وهو في غير مرضات الله.

2–وأيضا هذه العلامات هي دلائل على صدق نبوة النبي–صلى الله عليه وسلم–فإن النبي–صلى الله عليه وسلم–أخبرنا عن أمور غيبية مستقبلية ، لم تقع في زمنه–عليه الصلاة والسلام–. بعض العلامات وقعت في زمنه ؛ ولكن هناك علامات لم تقع إلا بعد موته–عليه الصلاة والسلام– وبعضها ما وقعت إلى الآن وستقع بإذن الله لأنه كما وصفه الله عز وجل: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ ﴾[7]

فليس المراد بعلامات الساعة فقط تعدادها وذكرها دون أن يكون الإنسان خائفا خاشعا لله–عز وجل– ولقد كان النبي –صلى الله عليه وسلم– يحذر الصحابة من الدجال وكأنه بين ظهرانيهم ؛ يعني كأنه في مكان قريب سيخرج عليهم. كان –صلى الله عليه وسلم– إذا رأى السحب خاف ورُئي الخوف على وجهه –عليه الصلاة والسلام– يخاف أن يحصل أو ينزل معها عذاب وهو رسول الله –صلى الله عليه وسلم– مما يدل على أن المؤمن عليه أن يراقب الله وأن يخافه ويخشاه وأن يعلم أنه في هذه الدنيا ؛ دار فناء وأنه مهما عاش فيها فإنه سيفارقها. كما جاء في الحديث الذي صححه الألباني رحمه الله تعالى– في السلسلة الصحيحة : (أن جبريل–عليه السلام–أتى للنبي–صلى الله عليه وسلم–وقال: "يا محمد عش ما شئت فإنك ميت

---

[7]) سورة النجم (3 - 4)

وأحبب من شئت فإنك مفارقه واعلم أن شرف المؤمن قيامه بالليل وعزه استغناءه عن الناس") أو كما قال–عليه الصلاة والسلام–.

قال عمر–رضي الله عنه–:(ثم انطلق) ؛ أي هذا الرجل السائل ذهب.

قال: (فلبثت مليا) يعني وقتا ؛ جاء في بعض الروايات ثلاثة أيام وذكر أهل العلم أن عمر–رضي الله عنه– ذهب للبحث عنه ،ثم لما رجع انفض المجلس ثم لقي النبي –صلى الله عليه وسلم– بعد ثلاثة أيام.

قال: (ثم انطلق فلبثت مليا) يعني وقتا.

ثم قال الرسول –صلى الله عليه وسلم– حين لقي عمر أو لقاه عمر: (يا عمر أتدري من السائل؟) هذا الذي جاء سأل عن الإسلام والإيمان والإحسان وعن الساعة وعلاماتها ، هل تدري من السائل هذا ؟ قال: (قلت: الله ورسوله أعلم) يعني أنا ما أعلم ، هذا الرجل لا نعرفه ولا يرى عليه أثر السفر ولا يعرفه أحد منا ؛ فأنا ما أعرف لا أعلم هذا الأمر.

فقال–صلى الله عليه وسلم–: (فإنه جبريل) هذا السائل جبريل تصور في صورة رجل.

(أتاكم يعلكم دينكم) يعني جبريل–عليه السلام–أتى ليعلم الصحابة ويعلمنا من بعدهم–رضي الله عنهم أجمعين–أمور الدين.

وفي هذا الكلام فوائد منها :

1–أن هذا هو الدين ؛ الإسلام والإيمان والإحسان وما يتعلق بالساعة وأشراطها.

2–ومنها أيضا أن أسلوب السؤال والجواب أسلوب نافع لتعليم الناس.

3–ومنها أيضا قول عمر –رضي الله عنه– :"الله ورسوله أعلم" في حياته –عليه الصلاة والسلام–أما بعد موته فإنا نقول: الله أعلم ؛ ولا نقول بعد موته: الله ورسوله أعلم.

وأيضا من فوائد هذا الحديث: ما فيه من بيان مراتب الدين وأنها ثلاثة ؛ مراتب الدين ثلاثة الإسلام وأهلها كثيرون ولذلك قال الله–عز وجل:﴿ قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِن تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾﴾[8] يعني أنتم الآن في مرتبة الإسلام لم تصلو إلى مرتبة الايمان. فإذا عملوا الصالحات وازدادوا من الخير والسنة انتقلوا إلى مرتبة الإيمان وأهلها أقل من مرتبة الإسلام.

فإن كانوا مع العمل الصالح والتقرب إلى الله كانوا كمن يعبد الله كأنه يراه انتقلوا إلى مرتبة الاحسان ، وأهل الايمان أقل من أهل الإسلام وهم أكثر من أهل الإحسان.

وأهل الإحسان هم أقل من أهل الإيمان.

وهنا أختم كلامي مما يتعلق بهذا الحديث ببيان فائدة مهمة وهي: أن بعض الناس قد يستدل بحديث جبريل هذا وحديث الأقرع والأبرص لما جاءهم ملك متمثلا في صورة رجل ، بعض الجماعات المخالفة والفرق الضالة تستدل بهذه الأحاديث على جواز التمثيل.

والرد على هذا الاستدلال من وجوه :

[8]) سورة الحجرات (14)

-**الوجه الأول :** أن ما يتعلق بعالم الملائكة عالم غيبي فلا يقاس على عالم الإنس المشاهد.

-**الوجه الثاني :** أن هذا الحديث وغيره من الأحاديث لم يقل أحد من العلماء ولا السلف ولا الأئمة أن فيه جواز التمثيل.

-**الوجه الثالث :** أن التمثيل لم يعرف إلا من النصارى ومن البوذية ومن أهل البدع لا يعرف في الإسلام.

- **الوجه الرابع :** أن التمثيل كذب فكيف يقاس هذا على هذا.

-**الوجه الخامس :** أن الملائكة هؤلاء قد أرسلهم الله–عز وجل–للناس والناس لا يستطيعون أو لا تتحمل قلوبهم وعقولهم رؤية الملك على صورته الحقيقية ؛ فمن رحمة الله أن أرسل ملكا متمثلا في صورة رجل.

وقد رد العلامة حمود التويجري–رحمه الله تعالى–على هذه الفرية في كتابه في "أحكام التمثيل " جزاه الله خيرا ورحمه الله تعالى.

هذا وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم أجمعين